كائنات محدودبة تجلس القرفصاء

تأكلني الدهشة كلما توغلت في المسير. ما بال هذه المدينة المضببة؟! أحاول البحث عن مخلوق يؤنسني فتبتسم في وجهي الوحدة كي تمسي صديقي الحميم. على بُعد عدة ياردات أرى إحدى اللافتات متوسطة للطريق.

"مرحبا بكم في مدينة الضباب المقدس". في جانب آخر أرى لافتة ثانية "ممنوع الدخول لغير المحدودبين".

أندهش لآخذ طريقي إلى اللامعنى. ما أن أتخطى البوابة القصيرة التي جعلتني أستلقي زاحفا كي أعبرها، إلا وقابلني أحدب غليظ الوجه ليقول بغلظة نابعة من تقاسيم وجهه المتشققة:

– إلى أين تذهب أيها المستقيم الزنديق؟ ألم تقرأ اللافتة؟

أقول بوجل:

– قرأتها لكني لم أعرف المقصود منها.

– انه لغباء جد عظيم لابد وأن تُعالج منه.

– عفوا.. لم أعن أني لم أفهم لكني.. لكن.. حقيقة لقد أردت استكناه تلك المدينة.

يقول بعد تفكير عميق:

– ستكلفك الكثير أيها المستقيم، أمستعد أنت؟

– أجل، ما هي شروطك؟

يقول بخبث:

– سأقولها بعد نهاية رحلتك الاستكشافية.

ثم ردد متمتما:

– على الأقل ستكون مثلنا أيها المستقيم المارق.

تشملني رعدة خفيفة حين سماعي لعبارته المبهمة. يقودني خلفه نحو طريق مظلم ينحدر إلى مصب مائي. بدأ الضباب ينقشع رويدا. أشار بإصبعه إلى أحد المحدودبين. لاحظت أن وسطاه شديد الطول. أرى الآخر جالسا القرفصاء ممسكا بين يديه بمرآة مقعرة، واضعا إياها بين فخذيه المنفرجين. عيناه اللتان تنظران إلى إسته بهما نهم شديد وكأنه ينظر إلى امرأة فاتنة يرغب مضاجعتها. أتأمل وضعه فيخيل لي أن هناك شيئا ما محشور فيه.

ما أن أشار له دليلي إلا وأسرع نحو المجرى المائي متخذا وضع تمساح. لم تخف عليّ وسطاه التي أخرجها خلسة من مؤخرته قبل الاستجابة لدليلي. كان المنظر غريبا حين استلقاؤه في الماء. لست أدري كيف ظل طافيا. أطرافه أسفل الماء بينما لا يظهر منه سوى ذلك الاحدوداب الغريب. يعتلي دليلي ظهره مشيرا لي أن أتبعه؛ فأفعل. يتحرك الأحدب المائي بسرعة عجيبة لينزلنا على الشاطئ الآخر. أراه مائجا بالآلاف من المحدودبين. ينظرون إليّ بدهشة فيها الكثير من الاشمئزاز. يقول أحدهم لمرافقي:

– ابعد هذا المستقيم الآثم عنا؛ إنه لشيطان.

يقترب منهم مهدئا. يسود الصمت. يبدو أن الرجل له تأثير

السحر عليهم. أراهم يجلسون في جوانب شتى رجالا ونساء في وضع القرفصاء. النساء ضمرت أثداؤها لطول فترة مكوثهن على هذا الوضع الغريب فخيّل إليّ أن أثداءهن قد غاصت في أرجلهن أو أن أرجلهن هي التي غاصت في أثدائهن، لست أدري. تتتابع الأسئلة الحيرى على ذهني. كيف يضاجع رجال هذه المدينة نساءها؟ وما السبب في هذا الاحدوداب؟ ولم يجلسون القرفصاء؟ ثم ما سر تلك المرآة التي يمسكها الجميع بين أيديهم كي ينظروا من خلالها إلى ما بين أفخاذهم؟ يفاجئني صوت دليلي الأحدب الذي يبدو أنه قد فطن إلى ما يدور بخلدي:

– من حقك أن تتساءل لأننا اتفقنا منذ البداية على الثمن.

– إذن ما السر هنا؟

– سأقول لك.. لقد خلقنا جميعا مثلك هكذا، مستقيمون، ولكن آباءنا علمونا منذ الصغر على هذه الجلسة المحدودبة المقرفصة؛ فتشكل هيكلنا التكويني على هذا الوضع.

يحادثني بينما عيناي في رحلة غريبة مع أنابيب الغاز الماسورية في كل مكان. أقول:

صافية على جانبيها قطع ورق بيضاء مغلفة بإطار كتابهم المقدس بينما المرآة بين أفخاذهم. أرى النساء في هذا الوضع ترتفع وتنخفض في حركة ديناميكية منتظمة على ما يشبه العضو الذكري. أتابعه ببصري لأراه نابتا من الأرض. الرجال يضعون وسطاهم في مؤخراتهم. عيونهم مسلطة على أنفسهم المنعكسة في المرآة بشبق. تخرج أصوات التأوهات كهمهمة غريبة يخالها السامع قراءة تعبدية طقوسية. أقول زاعقا:

– أي عبادة تلك أيها الرجل؟ إنهم يمارسون طقوسا جنسية شاذة تحت ستار العبادة، يبدو أنكم جميعا مرضى.

ما أن لفظت جملتي إلا وانطلقت كائنات المدينة كلها خلفي. كانت حركتي شديدة الخفة. أسمعهم يضجون بينما ألسنتهم تلهج بكلمة واحدة:

– الجحيم .. الجحيم.

أسرع الخطو نحو أنابيب الغاز الطبيعي التي تملأ أركان المدينة. أفتح صماماتها. أشغل ثقابا فإذا بالهواء كله يغلي. أتأمل مجموعات المسوخ المحدودبة من خلال اللهب الممو ج بينما [illegible]